



يظنه البعض سيناريو خاصاً بحمص..!! وخاصة أولئك الذين ينظرون إلى الحدث في أنه منقطعاً عن ظروفه التي دعت إليه، بل ويسارع البعض ليعتبره مجرد خطأ ثوري علينا أن نتعلم منه لكي لا يتكرر . ولقد تلقى سابقاً أهل حمص وأمثالهم _ فوق ما هم فيه _ كثيراً من الهمزات واللمزات حول أسباب حملهم السلاح إلى أن وجدت أغلب المحافظات الأخرى الحاجة الملحة التي دعت إلى حمله!!

وهذا السيناريو الذي يخشون من مثلهاليوم هو ما يتربّد على صفحات البعض من مخاطر التمرّس في المدن والذي من شأنه أن يلحق الدمار بها ويدعو أهلها إلى التشرد والنزوح كما حدث لكثير من المحافظات وأكثرها حمص ..

والغريب أن مثل هؤلاء يغفلون بينما هم ينشرون تخوفاتهم عما يعرفه كل العالم من أن أسلوب التدمير الوحشي والنزوح لم يقتصر اليوم على حمص فحسب بل توسيع ليشمل عشرات من البلدات مما يدعو هؤلاء لمزيد من الدراسة والنظر في أسباب ذلك وخصوصاً إن كانوا من رموز الثورة أو في موقع قيادي في صفحات الثورة أو صفوف المعارضة..

لا أريد التحدثاليوم عن سبب حمل السلاح فلقد توسيع في توضيحة في مقالة سابقة بعنوان (لماذا تسلّحتم) ، لكنني أحارّل أن أوضح بعض الأسباب التي أرغمت أهل حمص على التمرّز فيها وعدم الخروج منها وتسليمها رغم الدمار والدماء والنزوح والتشرد . لكنني قبل ذلك أريد أن أذكر الجميع أن الحرب التي تخوضها البلاد ليست مع عقلاً يمكن لأحد التكهن بما يمكن أن يقوموا به بل إننا في حرب مع وحوش بكل ما للكلمة من معنى .. وحوش لا يقيّمون وزناً لأي قيم

أو آلام أو مشاعر أو دماء أو دمار .. وحين كان الرصاص يخترق رؤوس شبابنا لم يكن أحد يظن أن هذا النظام سيبلغ به الجرم ليرسل صواريχه وبكل حنق وحقد إلى أملاك وبيوت الناس ويحولها إلى كومات من الحجارة ويرسل شبيحته إلى الحرارات التي نزح أهلها ليسرقوا ما فيها حتى إذا لم يبق فيها إلا الذكريات ، أخرجوا ما معهم من أدوات الإحرق وجعلوا البيت كتلة من النيران مطبيـن بذلك مقولتهم التي يقدسونها عن الأسد أو إحراق البلد..

وحيـنـما اـرـجـتـ حـمـصـ أـوـلـ مـرـةـ وـكـانـ الصـارـوخـ أـلـوـلـ الـذـيـ تـلـقـاهـ بـاـبـاعـمـرـوـ بـصـدـرـهـ ...ـوـقـفـتـ حـمـصـ كـلـهـ وـهـيـ تـنـصـتـ إـلـىـ قـوـةـ الـانـفـجـارـ ذـاهـلـةـ غـاضـبـةـ..ـلـمـ تـكـنـ تـنـظـنـ بـذـلـكـ الـوـحـشـ الـأـرـعـنـ أـنـ يـصـلـ التـجـبـرـ بـهـ وـبـدـاعـمـيـهـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـسـتـوـ..ـوـلـكـنـ لـمـ يـكـنـ مـنـ خـيـارـ فـلـقـدـ كـانـتـ الـثـورـةـ بـأـمـسـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الصـمـودـ وـالـتـضـحـيـةـ فـأـثـرـ أـهـلـ بـاـبـاعـمـرـوـ الـكـرـامـ دـمـارـ بـيـوـتـهـ وـتـشـرـيـدـ أـهـالـيـهـمـ وـنـزـفـ دـمـائـهـمـ عـلـىـ أـنـ تـخـمـدـ تـحـتـ ذـلـكـ الـقـصـفـ جـذـوـةـ الـثـورـةـ وـيـظـلـمـ الـأـمـلـ فـيـ قـلـوبـ الـأـجـيـالـ ..ـاـرـجـتـ أـرـضـ حـمـصـ أـيـامـ وـأـيـامـ وـأـبـنـاؤـهـاـ فـيـ بـاـبـاعـمـرـوـ صـامـدـوـنـ وـطـالـ الـأـمـدـ وـاـشـتـدـ الـظـرـوـفـ وـقـسـتـ ...ـ وـنـاـشـدـتـ بـاـبـاعـمـرـوـ أـهـلـ سـوـرـيـةـ أـنـيـ أـقـصـفـ وـنـادـتـ الـعـالـمـ أـنـيـ أـدـمـرـ ...ـوـأـرـسـلـتـ الصـورـ وـالـتـقـارـيـرـ أـنـيـ أـمـسـحـ مـنـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ..ـوـلـكـنـ ذـلـكـ الصـوـتـ لـامـسـ الـأـسـمـاعـ وـلـمـ تـرـجـعـ لـهـ الـقـلـوبـ كـمـاـ كـانـتـ الـأـرـضـ تـرـجـعـ بـاـنـفـجـارـاتـ الصـوـارـيـخـ الـتـيـ تـخـرـقـ سـقـفـ الـبـيـوـتـ وـتـحـولـهـ إـلـىـ رـكـامـ ..ـاـنـتـهـتـ تـلـكـ الـمـعـرـكـةـ بـاـنـسـحـابـ جـمـيعـ الـبـشـرـ مـنـ بـاـبـاعـمـرـوـ وـهـدـأـتـ حـمـصـ لـأـيـامـ وـكـانـ النـظـامـ يـظـنـ أـنـ مـعـرـكـتـهـ مـعـ الـثـورـةـ السـوـرـيـةـ اـنـتـهـتـ بـاـنـتـهـاءـ مـعـرـكـةـ بـاـبـاعـمـرـوـ وـلـذـلـكـ أـرـادـ ذـلـكـ الـمـخـتـلـ الـأـرـعـنـ بـشـارـ أـنـ يـكـونـ مـيـدـانـيـاـ فـيـ أـرـضـ خـرـابـ خـاوـيـةـ وـهـوـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـثـبـتـ لـمـ حـوـلـهـ أـنـهـ قـدـ اـنـتـصـرـ وـأـنـهـ الـثـورـةـ حـيـنـ صـورـ نـفـسـهـ يـهـبـطـ بـطـائـرـتـهـ وـيـدـنـسـ تـرـابـ بـاـبـاعـمـرـوـ الـطـاهـرـ ..ـوـهـنـاـ أـرـيدـ أـنـ ذـكـرـ الـإـخـوـةـ الـذـيـنـ يـتـسـأـلـوـنـ عـنـ بـقـاءـ الـثـوارـ فـيـ حـارـاتـ حـمـصـ أـنـ النـظـامـ بـعـدـ بـاـبـاعـمـرـوـ مـبـاـشـرـةـ بـيـوـمـيـنـ أـوـ أـيـامـ قـلـيلـةـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـكـمـلـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ حـمـصـ كـلـهـ وـأـرـيدـ أـنـ أـوـضـحـ لـهـؤـلـاءـ طـبـيـعـةـ حـمـصـ وـأـنـ حـوـالـيـ ثـلـثـاـهـ هـمـ مـنـ الـمـؤـيـدـيـنـ لـلـنـظـامـ..ـوـأـنـ أـعـدـاـدـ كـبـيرـةـ مـنـهـمـ هـمـ شـبـيـحـةـ لـهـ..ـوـأـنـ هـؤـلـاءـ الشـبـيـحـةـ لـنـ يـتـرـدـدـوـ فـيـ الـاـنـتـقـامـ مـنـ أـهـلـ مـدـيـنـةـ حـمـصـ الـتـيـ صـمـدـتـ بـالـثـورـةـ وـحـافـظـتـ عـلـىـ شـعـلـتـهـاـ حـتـىـ كـانـتـ بـحـقـ هـيـ عـاصـمـةـ لـهـ ..ـوـلـذـلـكـ كـانـتـ الـخـطـةـ الـتـيـ نـهـجـهـاـ النـظـامـ بـعـدـ بـاـبـاعـمـرـوـ وـخـاصـةـ بـعـدـ أـنـ اـسـتـنـفـ وـقـتـهـاـ الـغـطـاءـ الـدـولـىـ لـلـقـصـفـ وـالـتـدـمـيرـ وـحـرـبـ الصـوـارـيـخـ هـيـ أـنـ اـعـتـمـدـ عـلـىـ الـقـوـةـ الـإـجـرـامـيـةـ لـشـبـيـحـتـهـ فـتـوـالـتـ الـمـجـازـرـ وـالـمـذـابـحـ..ـوـكـانـ أـولـهـاـ مـجـازـرـ الـعـدـوـيـةـ وـكـرـمـ الـزـيـتـوـنـ وـكـانـ هـدـفـهـ مـنـهـاـ وـاـضـحـاـ لـأـهـلـ حـمـصـ أـنـ يـرـيدـ أـنـ يـبـثـ الـرـعـبـ فـيـ أـهـالـيـ تـلـكـ الـحـارـاتـ الـتـيـ كـانـتـ مـلـاـصـقـةـ لـحـارـاتـ الشـبـيـحـةـ وـالـتـيـ لـمـ تـكـنـ تـمـلـكـ مـنـ الـقـوـةـ الـكـافـيـةـ لـلـصـمـودـ بـسـبـبـ مـحـاـصـرـةـ الشـبـيـحـةـ لـهـاـ وـقـرـبـهـمـ مـنـهـاـ ..ـوـلـقـدـ كـانـ هـدـفـهـ مـنـ بـثـ ذـلـكـ الـرـعـبـ هـوـ هـرـوـبـ الـحـاضـنـةـ الـشـعـبـيـةـ لـلـمـسـلـحـيـنـ وـنـزـوـحـهـمـ خـوـفـاـ مـنـ تـكـرـارـ الـمـجـازـرـ..ـوـهـوـ فـعـلـاـ مـاـ حـدـثـ بـعـدـ أـنـ اـنـتـشـرـتـ صـورـ ذـبـحـ الـأـطـفـالـ فـيـ كـرـمـ الـزـيـتـوـنـ وـالـعـدـوـيـةـ فـنـزـحـ الـأـهـالـيـ إـلـىـ الـحـارـاتـ الـأـخـرـىـ خـوـفـاـ مـنـ الشـبـيـحـةـ وـبـقـيـ مـسـلـحـوـنـ وـبـعـضـ الـجـيـشـ الـحـرـ يـدـافـعـوـنـ عـنـ تـلـكـ الـحـارـاتـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ الصـمـودـ طـوـيـلـاـ بـسـبـبـ قـوـةـ تـدـاـخـلـ تـلـكـ الـحـارـاتـ مـعـ حـارـاتـ الشـبـيـحـةـ عـلـىـ خـطـ طـوـيـلـ لـاـ يـسـهـلـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الشـبـيـحـةـ الـاقـتـرـابـ يـدـأـ بـأـسـلـوـبـ الـخـدـاعـ مـعـ تـلـكـ الـجـنـدـلـيـ وـأـمـثـالـهـاـ..ـحـتـىـ إـذـ اـقـتـرـبـ وـيـدـأـ يـحـيـطـ بـقـلـبـ الـمـدـيـنـةـ حـيـثـ يـصـعـبـ عـلـىـ الشـبـيـحـةـ الـاقـتـرـابـ يـدـأـ بـأـسـلـوـبـ الـخـدـاعـ مـعـ تـلـكـ الـحـارـاتـ..ـوـكـانـ أـولـهـاـ بـاـبـ السـبـاعـ حـيـثـ أـرـسـلـ لـلـوـجـهـاءـ أـنـهـ يـرـيدـ الدـخـولـ إـلـىـ بـاـبـ السـبـاعـ لـمـ جـرـدـ الـتـفـيـشـ فـقـطـ وـصـرـحـ لـهـمـ طـلـبـهـ مـنـ الـمـسـلـحـيـنـ الـاـنـسـحـابـ لـيـدـخـلـ إـلـىـ بـاـبـ السـبـاعـ فـيـفـتـشـ تـفـيـشـاـ شـكـلـيـاـ كـمـاـ قـالـ ثـمـ يـعـودـ أـدـرـاجـهـ..ـوـلـمـ تـكـنـ تـلـكـ الـأـسـالـيـبـ الـمـاـكـرـةـ تـنـطـوـيـ عـلـىـ الـثـوارـ..ـوـكـانـتـ بـاـبـ السـبـاعـ حـيـنـهاـ تـعـجـ بـالـنـازـحـيـنـ..ـفـتـشـاـوـرـوـاـ بـيـنـهـمـ وـتـبـيـنـ لـهـمـ أـنـ النـظـامـ يـرـيدـ أـنـ يـقـتـحـمـ بـاـبـ السـبـاعـ لـيـصـلـ مـبـاـشـرـةـ إـلـىـ حـدـودـ حـمـصـ الـقـدـيمـةـ وـيـطـبـقـ الـحـصـارـ عـلـيـهـاـ فـتـجـاهـلـوـاـ طـلـبـ النـظـامـ مـنـهـمـ بـالـسـمـاحـ لـهـ بـالـدـخـولـ...ـوـبـدـأـتـ قـذـائـفـ الـهـاـوـنـ تـنـسـاقـطـ وـسـارـعـ النـاسـ إـلـىـ النـزـوـحـ وـبـدـأـتـ مـعـرـكـةـ بـاـبـ السـبـاعـ الـتـيـ لـمـ تـطـلـ إـلـاـ أـيـامـ وـذـلـكـ لـصـفـ الـحـارـةـ وـاـسـتـخـدـمـ الـتـيـ 72ـ فـيـ الـقـصـفـ وـالـتـدـمـيرـ وـالـاقـتـحـامـ وـلـمـ يـكـنـ وـقـتـهـاـ بـيـنـ أـيـديـ الـثـوارـ مـضـادـاتـ لـمـتـلـ تـلـكـ الـدـرـوـعـ

ما اضطر الثوار للانسحاب إلى داخل حمص القديمة .. وما حدث في باب السبع حدث في القرابيص وجورة الشياح والقصور إلا أن تلك المناطق كانت واسعة وبعيدة عن الشبيحة فأصر ثوارها على الصمود حماية وظهراً لقلب حمص ودفعوا ثمن ذلك نزوحاً ودماراً كبيراً .. وبقيت حمص حتى اليوم على عهدها ترسم حروف الصمود وتحافظ على القلب النابض للثورة رغم توقف قلوب مئات من أبنائها عن النبض وارتحالهم إلى دار البقاء. لقد ركز النظام معظم وحشيته على حمص وتحدى أبناءها بما لديه من مختلف أنواع الإجرام والعنف لأنه يعلم أنه لو قضى على حمص وأسقطها فسيكون لذلك وزن كبير عنده وعند شبيحته في الداخل والخارج، ولذلك كانت حمص إحدى أهم محاور حديثه مع لافروف عندما استقبله في دمشق. لكن ثوار حمص وثوار المحافظات الأخرى كانوا ينظرون بتعجب إلى دمشق وهم أسفون حزاني على أن كل ما يبذلونه سيذهب هدراً إن لم تقم دمشق معقل النظام ورموزه .. كانوا يعلمون أن معركتهم لا تنهي المظاهرات ولا المليونيات لأنها ليست معركة مع عقلاً إنما هي مع مجاني وشبيحة ورأس سفيه أحمق لهم لا تزيحه إلا القوة ولو توقفت سوريا كلها عن الحياة .. إن ثوار حمص الذين قاموا بصنع ذلك السيناريو هم متأكدون وعن تجربة أنهم لو انسحبا لكان خسائرهم أكبر بكثير مما حصل من الدمار الذي يرونـه اليوم... وما تلك الحرارات التي تزج أهلـها عنها من شهور وهي خاوية عنـهم بعيدـ، حيث لم يسمـح النظام لأحد من أصحابـها أن يعودـ إليها بل اعتـقلـ وقتلـ وذبحـ من يعودـونـ ويجـلسـونـ في بيوـتهمـ يـظـنـونـ الأمـانـ.. إنـهمـ علىـ يـقـيـنـ أنـ النـظـامـ يـرـيدـ أنـ يـعـيـدـهـ إـلـىـ بـيـوـتـهـ بـيـدـيـهـ وـعـلـىـ طـرـيـقـتـهـ بـعـدـ أـنـ يـدـمـرـ مـاـ فـيـ قـلـوبـهـ وـيـغـسـلـهـ مـنـ كـلـ مـعـانـيـ الثـورـةـ وـيـعـيـدـ إـلـيـهـ مـاـ كـانـ قـدـ صـبـهـ فـيـهـ مـنـ خـوـفـ وـجـبـ وـإـذـلـ .. إنـ هـذـاـ السـيـنـارـيوـ أـيـهـاـ السـادـةـ كـمـاـ نـرـىـ قـدـ اـضـطـرـتـ إـلـيـهـ أـكـثـرـ الـمـحـافـظـاتـ وـالـبـلـدـاتـ فـيـ سـوـرـيـةـ وـلـقـدـ بـلـغـ دـمـارـ مـاـ بـلـغـ لـيـسـ بـسـبـبـ الثـورـةـ .. فـالـثـورـةـ حـافـظـتـ عـلـىـ سـلـمـيـتـهـ شـهـوـرـ طـوـيـلـةـ وـقـدـمـتـ آـلـافـ سـلـمـيـنـ مـنـ الشـهـدـاءـ بـلـ لأنـ ذـلـكـ النـظـامـ الـمـحـتـلـ هـوـ نـظـامـ أـفـاكـ حـاـقـدـ أـثـيـمـ لـاـ تـرـجـهـ الضـغـطـ وـلـاـ جـمـيـعـ مواـزـيـنـ السـيـاسـاتـ فـهـوـ أـحـمـقـ يـخـوضـ مـعـرـكـةـ مـصـيـرـهـ وـلـنـ يـتـنـازـلـ عـنـهـ إـلـاـ حـيـنـاـ تـنـازـلـ رـوـحـهـ النـتـنـةـ عـنـ جـسـدـ الـخـبـيـثـ .. إنـ كـلـ ذـلـكـ الـدـمـارـ الـذـيـ اـرـتـسـمـ عـلـىـ أـرـضـ سـوـرـيـةـ سـتـحـدـدـ دـمـشـقـ قـيـمـتـهـ حـيـنـماـ تـقـبـلـ بـهـ ثـمـنـاـ لـتـضـحـيـ بـهـدـوـئـهـ وـتـجـارـتـهـ وـبـعـضـ زـخـرـفـتـهـ وـتـنـالـ شـرـفـ إـزـالـةـ أـشـدـ الطـغـاةـ إـجـرـاماـ .. فـلـقـدـ وـصـلـتـ الـيـوـمـ الـكـرـةـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـاقـرـبـتـ مـنـ الـهـدـفـ .. فـإـلـىـ مـزـيدـ مـنـ الـبـذـلـ وـالـتـضـحـيـةـ فـلـقـدـ قـارـبـ الـمـرـكـبـ عـلـىـ الغـرـقـ .. عـلـىـ أـهـلـ دـمـشـقـ الـيـوـمـ أـنـ يـصـبـرـوـ عـلـىـ أـصـوـاتـ الـقـذـائـفـ فـلـطـالـلـاـ حـكـيـ التـارـيـخـ عـنـ بـطـولـاتـهـ ضـدـ الطـغـاةـ وـعـنـ صـبـرـهـ عـنـ الـمـلـمـاتـ وـالـحـرـوبـ وـعـنـ شـهـامـتـهـ .. عـلـىـ أـنـ أـمـورـاـ سـتـةـ ،ـ أـمـورـلـاـبـدـ أـنـ يـفـطـنـوـ لـهـاـ وـهـيـ :

تأمين المدنيين وحمايتـهمـ عندـ كلـ تصـعيدـ فيـ أيـ حـارـةـ وـتـأـمـيـنـ المـلاـجـئـ وـالـزـادـ
وـالـأـمـرـ الثـانـيـ هوـ تـوحـيدـ الـعـمـلـ الـعـسـكـريـ فيـ كـلـ الـعـاصـمـةـ فـإـنـ مـعـرـكـةـ الـعـاصـمـةـ لـاـ يـصـلـحـ مـعـهاـ أـيـ اـرـتـجـالـ .. وـلـاـ بـدـ مـنـ حـسـنـ
الـتـنـسـيقـ بـيـنـ كـلـ الـكـتـائـبـ وـسـدـ كـلـ الـثـغـورـ وـتـأـمـيـنـ طـرـقـ الـإـمـدادـ ..

وـالـأـمـرـ الثـالـثـ هوـ قـطـعـ أـورـدـةـ الـحـيـاةـ الـتـجـارـيـةـ وـالـأـسـوـاقـ الـعـامـةـ وـالـعـصـيـانـ الـمـدـنـيـ مـهـمـاـ كـلـ الـثـمـنـ وـلـتـقـصـرـ كـلـ حـارـةـ عـلـىـ
مـحـلـاتـهـ وـبـعـضـ أـسـوـاقـهـ الـهـامـةـ ..

وـالـأـمـرـ الرـابـعـ دـعـمـ التـرـكـيزـ عـلـىـ حـارـةـ وـاحـدـةـ فـيـ دـمـشـقـ بـلـ مـحاـوـلـةـ إـشـعالـ كـلـ حـارـاتـهـ وـذـلـكـ بـهـدـفـ إـنـهـاـكـ النـظـامـ وـاقـتسـامـ
الـضـغـطـ بـيـنـ عـدـدـ مـنـ الـحـارـاتـ ..

وـالـأـمـرـ الخـامـسـ وـهـوـ الصـمـودـ وـعـدـمـ التـوقـفـ فـهـيـ مـعـرـكـةـ نـهـاـيـةـ الـأـسـدـ وـيـجـبـ أـنـ لـاـ تـقـفـ أـوـ تـخـمـدـ حـتـىـ تـحـقـقـ غـايـتـهـ بـعـونـ اللـهـ
تعـالـىـ وـإـنـ طـالـتـ ..

وـالـأـمـرـ السـادـسـ هوـ أـنـ عـلـيـهـ الـانتـبـاهـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ مـؤـسـسـاتـنـاـ فـيـ دـمـشـقـ وـمـاـ فـيـهـ مـاـ يـجـبـ عـلـيـنـاـ حـمـاـيـتـهـ مـنـ أـوـلـئـكـ
الـسـارـقـينـ الـفـتـلـةـ الـذـيـنـ يـعـلـمـوـنـ عـلـىـ الـأـنـتـقـامـ وـالـتـخـرـيـبـ وـالـإـحـرـاقـ ..

إـنـ عـلـىـ دـمـشـقـ الـيـوـمـ أـنـ لـاـ تـجـزـعـ مـنـ حـمـصـ وـسـيـنـارـيـوـهـاتـ حـمـصـ فـإـنـ كـلـ مـحـافـظـةـ وـضـعـ وـظـرـورـاتـ لـكـنـ عـلـيـهـ

أيضاً أن تعلم أن المعركة في دمشق لا يمكن أن تتحقق بدون بعض الدمار والتضحيات والقذائف وإن حمص وأخواتها قد حملت على كاهلها الحجم الأكبر من الدمار فلم يبق لدمشق بإذن الله إلا القليل فعليها أن لا تتردد في بذل ما لا بد منه.

المصادر: